



وَقَعَتْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ فِي يَوْمٍ صِيفِيٍّ مُشْمَسٌ مِنْ أَيَّامِ سُنِّيِّ الثَّمَانِينِيَّاتِ مِنْ قَرْنِ الْعَشِيرِينِ ..

كَانَ عَرْشُ الْجَنْرَالِ حَافِظُ الْأَسْدِ، يَوْمَئِذٍ، قَدْ تَوَقَّفَ عَنِ الْاِهْتِزَازِ بَعْدِ الْمُجَازِرِ الْمُرْوَعَةِ الَّتِي اَرْتَكَبَهَا هُوَ وَأَخْوَهُ رَفِعَتْ وَرَؤْسَاءُ شُعُوبِهِ وَفِرَوْعُهُ وَمَفَارِزِهِ الْأَمْنِيَّةِ الْأَخْطَبُوَطِيَّةِ وَقَتَلُوا عَشَرَاتِ الْأَلْفِ مِنَ السُّورَيْنِ .. وَبِدَائِتْ سُورِيَّةٌ تَتَحَوَّلُ إِلَى مَا عُرِفَ لَاحِقًا بِاسْمِ "جَمْهُورِيَّةِ الْخُوفِ الْعَرَبِيَّةِ السُّورِيَّةِ".

الرَّكَابُ الْمَسَافِرُونَ إِلَى دَمْشَقَ مِنْ كَرَاجِ الْعَنْدَانِيِّ بِإِدْلِبِ صَدَعُوا إِلَى الْبَاصِ، وَاتَّخَذُوا أَمَانَهُمْ، وَالسَّائِقُ التَّفَتَ نَحْوَ الْمَعَاوِنِ وَسَأَلَهُ:

– أَشَوْ أَبُو مَرَاد؟ مَنْقُولٌ يَا اللَّهُ؟

رَدَ عَلَيْهِ أَبُو مَرَادٌ: قُولْ يَا اللَّهِ ..

فِي هَذِهِ الْلَّحْظَةِ .. دَخَلَتْ سِيَارَةُ سْتِيشَنْ تَابِعَةً لِلْأَمْنِ الْعَسْكَرِيِّ أَمَامَ الْبَاصِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَنَزَّلَ بَضْعَةُ عَنَّاصِرٍ مَسْلَحَيْنِ، وَقَفَ بَعْضُهُمْ بِجَوارِ الْبَاصِ، وَصَعَدَ بَعْضُهُمْ الْآخَرُ إِلَى دَاخْلِهِ.

قَالَ رَئِيسُ الدُّورِيَّةِ: كُلُّ وَاحِدٍ يُشَيِّلُ هُويَّتَهُ فِي إِيَّادِهِ.

نفذ الركاب الأمر، من دون أي كلام.. وبدأ رئيس الدوري وأحد العناصر يتفحصان هويات الركاب، على التسلسل..

فجأة.. أحد عناصر الدوري، وقد لمح راكباً معيناً، اندفع من الأمام إلى الخلف، باتجاه الركاب، وهو يصيح:
- هذا أنت يا سمير يا ابن محمد الحموية؟.. بدبي ألعن أبوك يا ابن الكلب..

وانهال على المدعو "سمير" بالضرب واللكم.. وهو يطلق سيلًا من الشتائم.. فيقول: ولاك كيف تجرؤ على أنك تلاحق أخي زكية في زقاق الضياعة وتلطمها كلام عشق وغرام؟ ولاك نحن بيت القدري بناتنا شريفات وما حدا يدوس على طرفا.. والله لو لا أعرف أن أخي طاهرة لأقتلها وأقتلوك معها.. يا الله ولاك كلب.. انزل من هون.. انقلع.. وشرع يركله حتى أنزله من الباص وسط دهشة الركاب وأفراد الدوري أنفسهم..

وحيثما أصبح المدعو "سمير" خارج الباص نظر رئيس الدوري في هذا العنصر التاثير مستفسراً عن هذا التصرف الغريب، فقال له:

- آسف سيدى. لكن دمي فار لما شفته. من أكثر من شهر ونحن عم ندور على هالواطي.. بدو يبهدنا في الضياعة وفي كل المنطقة يا سيدى..

بقي رئيس الدوري محتراراً فيما يفعل لدققتين، ثم أمر بقطع عملية التفتيش، ونزل هو والعناصر من الباص، ثم ركبوا سيارتهم وانصرفوا..

بعد سنين طويلة.. روى لي القصة نفسها واحد من قرية "كنصفرة" بجبل الزاوية.. ولكن بطريقة مختلفة..

قال لي: هذا المدعو "سمير"، لم يكن اسمه سمير، وهو ليس من عائلة "الحمودية"، أصلًا في قريتنا لا توجد عائلة بهذا الاسم.. الرجل اسمه "محمد علي طلائع التبة" .. وهو من زعماء التنظيم السري لجماعة الإخوان المسلمين.. وكان مطمئناً إلى أن الأمن لم يكشفوه بعد.. فغامر بركوب الباص والذهاب إلى دمشق، وكان ينوي أن يغادر من هناك إلى الأردن ليصبح في منأى عن جماعة حافظ الأسد..

العنصر الذي ضربه في الباص كان من نفس القرية، وكانت الدوري التي حضرت إلى "كراج العنداني" في ذلك الصباح مزودة بعدد من أسماء المطلوبين، في مقدمتهم محمد علي طلائع التبة.. لذلك، حينما رأه، افتعل تلك المشكلة معه، ومحمد علي، بدوره، فهم اللعبة، وصار يقول له: والله ما لي علاقة بأختك.. والله العظيم ما لطشتها حكي.. إلخ..

وفيما بعد كان الشقيق الأصغر لمحمد علي كلما التقى بالعنصر يقول له:
- أشكرك على الضرب الذي وجهته لأخي محمد علي.. الحقيقة مو بس أنا، كل عيلتنا بتتشكرك..
فيقول العنصر: لا شكر على واجب!

المصادر:

العربي الجديد